«قبعة فيرمر» وبدايات عصر العولمة

■ أصدر مشروع «كلمة» للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للسياحة والثقافة كتاباً جديداً بعنوان «قبعة فيرمير: القرن السابع عشر وفجر العولمة» من تأليف المؤرخ البريطاني المتخصص في تاريخ الصين تيموثي بروك، وقد صدرت طبعته الأولى بالإنجليزية عام 2008 ونقله للعربية د. شاكر عبدالحميد.

يندرج كتاب «قبعة فيرمير: القرن السابع عشر وفجر العولمة» ضمن ما يمكن أن يسمى – بشكل عام – بالدراسات الثقافية، وبشكل خاص، بالنقد الثقافي، وفيه يأخذنا مؤلفه – تيموثي بروك – معه، زمانيًا إلى القرن السابع عشر، ومكانيًا إلى هولندا، أو ما كان يسمى بالأراضي الواطئة، فهناك في مدينة دلفت، ولد فيرمير؛ أشهر فناني الضوء، ربما في تاريخ الفن التشكيلي عامة، حيث قد لا يذكر تاريخ الفن بعده مثل هذا الشغف بالضوء، إلا مقترنًا باسم «فان جوخ» وشموسه المشعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

في دلفت، غرب هولندا، على بحر الشمال، حيث لد فيرمير، ورسم أهم لوحاته، ومنها لوحة «الضابط والفتاة الضاحكة»، حيث الضابط يرتدي قبعة خاصة كبيرة من الفرو – ومن هنا جاء عنوان الكتاب – وكان مقر الفرع الرئيسي لشركة الهند الشرقية الهولندية يوجد أيضًا في تلك المدينة، ومن هناك كانت تنطلق السفن نحو الشرق وتعود منه، تنطلق بالبحارة والسلع، وتعود ببعض البحارة فقط، وبسلع أخرى كثيرة متنوعة، هكذا بدأ التاريخ الحقيقي للعولمة – كما يقول تيموثي بروك – من هناك، من ذلك المكان، وذلك الزمن.

في هذا الكتاب ينتقل مؤلفه بنا من الفن إلى الحياة، ومن الحياة إلى الفن، من الفن الذي في الحياة: تجارة اللوحات والخزف والفراء والمنسوجات وغيرها، إلى الحياة التي في الفن: صناعة السفن، وتجارة التبغ، وعمليات التبادل الثقافي، والحروب والصراعات الكبرى التي دارت، هنا وهناك، والتي استهلت الحقبة الاستعمارية الكبرى في تاريخ البشرية، والتي رصدها الفن أو سَجّل آثارها المتناثرة، هنا وهناك.

جاءت اللغة الإنجليزية لمؤلف الكتاب ممتعة في معظمها، إذ كانت زاخرة بالاستعارات والتشبيهات والإمثولات والأبيات الشعرية والإشارات الثقافية إلى الشرق تارة، وإلى الغرب تارة أخرى، وخلال ذلك كله كان هناك حضور كثيف للفن والتاريخ والجغرافيا وعالم البحارة والتجارة، وصناعة السفن، والممارسات الثقافية والتبادلات الإنسانية، والحضارة والاكتشافات العلمية. ولقد انعكس ذلك على النسخة المترجمة للكتاب، فجاءت اللغة العربية للكتاب كلاسيكية حينًا، ومعاصرة حينًا آخر، وبدت المفردات والتعبيرات وأسماء الأعلام الصينية والغربية، وغيرها، حاضرة بكثافة عبر هذا النص الممتع.

عاش الفنان الهولندي الشهير «فيرمير» (31 أكتوبر/تشرين الأول 1632 – 16 ديسمبر/كانون الأول 1675) خلال القرن السابع عشر، وهو قرن كان يموج بكثير من التغيرات الضخمة، وقد جسد فيرمير كثيرًا من هذه التحولات والتغيرات في لوحاته، واستعان في هذا التجسيد بتقنيات الخداع البصري والغرف المظلمة، والتي كان رائد الإبداعات الخاصة بها العالم والفيلسوف المسلم الحسن بن الهيثم (965 – 1039) حيث تمتلك صور «الغرف المظلمة» «ذات الجودة» المعقولة «إحساسًا» بصريًا خاصًا. إنها تنتج أو تحدث إحساسًا مكثفًا بالنغمة واللون، وتقدم تكثيفًا مرهفًا دون خشونة أو بهرجة أو زخرفة مصطنعة.

كما أن الفروق الطفيفة بين الضوء والظل فيها، والتي تبدو منتشرة جدًا، وغير مدركة لضآلتها، بحيث يصعب تسجيلها في المشهد الأصلي، تصبح هنا – بواسطة الغرف المظلمة – واضحة، كما تكتسب التأثيرات النغمية للألوان درجة جديدة من التماسك، وقد تجلى ذلك كله في أعمال فيرمير الذي قيل إنه استخدم هذه الغرف المظلمة للكشف عن بعض الخصائص البصرية المميزة التي تكون أقل وضوحًا، أو غير واضحة في الطبيعة والإبراز لها.

وهناك أيضًا تلك الأمور المتعلقة بالرموز والتفسيرات الخاصة بالعمل، والتي لا تكون موجودة بداخله حرفيًا، بل مجازيًا، ورمزيًا، وأمثوليًا، فلوحة فيرمير «امرأة تزن الفضة» (1657) يمكن تفسيرها على أنها تمثل امرأة تقوم بوزن سلع أو حلي أو ذهب أو فضة...إلخ، أي أشياء العالم المادي، بميزان حساس، وتقف أمام لوحة تمثل يوم الحساب، حيث ستوضع أعمال الإنسان وتوزن بميزان يفصل بين حسناته وسيئاته، والمقارنة بين هاتين العمليتين من الوزن أمر لا يمكن تجاهله في هذه اللوحة. وهي أمور عقلية أو معرفية غير مجسدة تكوينيًا. لكن آخرين منا قد يهتمون أكثر بتلك العناصر التكوينية التي في اللوحة، مثل صورة يوم الحساب تلك.

يستعرض المؤلف عبر فصول هذا الكتاب بدايات العولمة من وجهة نظره كما تجسدت من خلال لوحات الفنان فيرمير ومن خلال الأشياء التي توجد في هذه اللوحات كالفضة والقبعات والكؤوس وأطباق البورسلين والخرائط وغيرها ومن خلالها يرصد –خارجها – التاريخ كما يتجسد في الرحلات البحرية والحروب التي دارت بين الأمم في الشرق والغرب، وغير ذلك من الموضوعات.

هكذا يقول مؤلف هذا الكتاب: «إننا عندما نتجول بأعيننا فوق لوحات فيرمير، نبدو وكأننا ندخل عالماً حيًا يزخر بالبشر الحقيقيين الذين تحيط بهم الأشياء التي تضفي معنى خاصًا بوجودهم في بيوتهم أو موطنهم الأليف وتحمل الشخصيات أو الأشكال الملغزة الغامضة في اللوحات أسراراً لن نستطيع معرفتها وذلك لأن ذلك هو عالمهم وليس عالمنا. لكن فيرمير رسم هذه الشخصيات بطريقة يبدو أنها تمنحنا الإحساس بأننا دخلنا إلى مكان حميم حيث كل شيء (يبدو) كأنه كذلك».

في حالة فيرمير، كانت الأماكن حقيقية، لكن ربما ليس بالطريقة نفسها تمامًا التي رسمها من خلالها، فلم يكن فيرمير قبل كل شيء، مصورًا فوتوغرافيًا بل كان فنانًا يدخلنا ويقربنا من عالمه، العالم الخاص بعائلة من الطبقة المتوسطة كانت تعيش في دلفت، عند منتصف القرن السابع عشر وحتى لو كانت دلفت لا تبدو في مجملها هكذا، كما صورها فيرمير، فإنه، وعلى الرغم من ذلك، فإن الصور (الفاكسية) المرسلة منه عبر لوحاته، صور مطابقة بدرجة كبيرة بالنسبة إلينا وكافية أيضًا كي ندخل ذلك العالم ونفكر كذلك فيما نجده فيه.

هكذا يطرح المؤلف تساؤلاته الخاصة به من خلال فحصه للوحات، أو بالأحرى، على نحو دقيق، الأشياء – أو الموضوعات – الموجودة في اللوحات. وهو يطلب منا تعليق بعض عاداتنا التي اكتسبناها عندما نقوم بالنظر إلى الصور، ومن أبرز هذه العادات ذلك الميل نحو اعتبار اللوحات نوافذ مفتوحة على نحو مباشر على زمان آخر ومكان آخر ، فمن الوهم المضلل كما يقول أن نعتقد أن لوحات فيرمير هي صور مأخوذة على نحو مباشر من الحياة في القرن السابع عشر في دلفت. فاللوحات لا «تؤخذ» (أو تلتقط) كما هو حال الصور الفوتوغرافية، اللوحات «تصنع» على نحو متسم بالعناية والتروي، وليس الهدف منها أن تقدم واقعًا موضوعيًا بقدر ما يكون الهدف من ورائها أن تقدم عرض سيناريو خاصًا. وهذا الاتجاه هو الذي يؤثر على الطريقة التي ننظر من خلالها إلى الأشياء/ الموضوعات الموجودة في اللوحات، فعندها نعتقد أن اللوحات أشبه بنوافذ، ومن ثم يقول لنا «تيموثي بروك» إننا ينبغي أن نتعامل مع الموضوعات (الأشياء) الموجودة فيها على أنها تفاصيل ذات بعدين تكشف عن أنه إما أن الماضي كان مختلفًا عن ما نعرفه اليوم أو أنه هو نفسه كما نعرفه اليوم، أي وكما لو كانت هنا صورة فوتوغرافية قد التقطت له.

أسلوب تيموثي بروك، مؤلف هذا الكتاب – كما قلنا سابقًا – أسلوب ممتع، يجمع بين المتعة والفائدة، إنه مولع بالتفاصيل، لكن هذه التفاصيل سرعان ما تنتظم في صورة كلية عامة ونافعة، ويشكل السرد لدى هذا المؤلف عالمًا يتجلى على أنحاء شتى، حيث نجد في هذا العالم الحكاية، والمعلومات التاريخية، والسياسية، والاقتصادية، والأدبية، ونجد الاستعارة والمجاز والأمثولة والشعر، ونجد التفكه والتهكم والسخرية والتندر والتورية، ونجد مصائر البشر ونهايات الأشياء وبداياتها، ونجد أنفسنا نقرأ كتابًا ممتعًا يجمع بين الفن التشكيلي والأدب والاقتصاد والسياسة.

ولد تيموثي بروك عام 1951 في تورنتو، بكندا، عام 1951، وهو مؤرخ متميز له العديد من الكتب والبحوث العلمية المهمة التي يدور معظمها حول تاريخ الصين. تبوأ العديد من المناصب الأكاديمية والجامعية منها: أستاذ كرسي الدراسات الصينية بجامعة أكسفورد وأستاذ ومدير كلية القديس جون بجامعة كولومبيا البريطانية ومدير برنامج دراسات التبت المعاصرة في الجامعة نفسها – معهد الدراسات الآسيوية.

له عدد كبير من المؤلفات المهمة حول المجتمعات الآسيوية وحول التاريخ والاقتصاد والسياسة والتجارة الدولية الخاصة بهذه المجتمعات منها على سبيل المثال: «الصلاة من أجل السلطة: البوذية وتكوين مجتمع الطبقة العليا في الصين في أواخر عهد أسرة المنغ» 1993. و«فوضى المتعة: التجارة والثقافة في الصين في عهد أسرة المنغ» 1998.

مترجم الكتاب د. شاكر عبدالحميد أستاذ علم نفس الإبداع بأكاديمية الفنون وشغل منصب نائب رئيس أكاديمية الفنون وعميد المعهد العالي للنقد الفني بأكاديمية الفنون والأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة. ويشغل في الوقت الحالي (ديسمبر/كانون الأول 2011) منصب وزير الثقافة في جمهورية مصر العربية. وحصل مؤخراً على جائزة الشيخ زايد للكتاب فرع الفنون عن كتابه «الفن والغرابة».

ألف أكثر من عشرين كتابًا أهمها: «الطفولة والإبداع» (في خمسة أجزاء)، «الأدب والجنون»، «الأسس النفسية للإبداع الأدبي للقصة القصيرة»، «العملية الإبداعية في فن التصوير»، «التفضيل الجمالي»، «الفكاهة والضحك»، «عصر الصورة»، «الخيال».

وترجم أكثر من ثمانية كتب أهمها: «بدايات علم النفس الحديث»، «الأسطورة والمعنى»، «الدراسة النفسية للأدب»، «المنهج الإثرائي المدرسي»، «معجم السيميوطيقا أو علم العلامات»، «العبقرية والإبداع والقيادة»، «سيكولوجية فنون الاداء».

متخصص فى دراسات الإبداع الخاص بالأطفال والكبار وله دراسات عديدة في النقد الأدبي والتشكيلي.

لن يتبرّك بقبري أحد

عبدالمجيد التركي

آخر ما أتذكره
أن المشيّعين كانوا يكذبون كثيراً،
اللعنة عَليكم أيها الأوغاد
لستُ أنا من تتحدثون عنه ..
القصيدة محاسني الوحيدة التي لا يتحدث عنها أحد !!

مرتبكٌ أنا وسط هذه الزفّة
كفقيهٍ وجد نفسه فجأة في بيت دعارة،
ألن تأتي الملائكة لتحمل هذه الجنازة
من بين هؤلاء السّفلة !!!!

في اليوم الثاني لموتي أريدك أن تأخذي
إجازة من عملك .
سآتي إليكِ وأحدثكِ عن كلِّ شيء في العالم الآخر..
سأخبركِ كيف نمت دون وسادة في القبر
ودون ملابس داخلية..
سأخبرك عن إمكانية البقاء دون طعام وشراب،
عن جيران سيئين ضايقوني من اليوم الأول
عن امرأة دفنوها بجواري، دون أن يعرفوا بغيرتك،
عن حارس المقبرة المزعج الذي يضحك مثل كُفّار المسلسلات
عن الحافلتين الواقفتين باب المقبرة
كأنّ الحافلة الخضراء ستذهب للجنة والأخرى إلى النار،
عن صاحب الفحم الذي يأتي كلّ صباح
ويسكب كيس الفحم ليعبئه في أكياس صغيرة،
عن المتسوّلين الذين يسدُّون باب المقبرة
ويبتهجون بقدوم جنازة جديدة،
عن الرياحين التي يضعها الزوّار فوق قبور أحبائهم
ثم لا تلبث أن تتكدّس في جيوب الأطفال..
سأخبرك كثيراً،
انتظريني غداً ..

يوم الجمعة مزدحم بالزيارات للموتى الجدد..
الزوّار يخدشون القبور بحجرٍ صغير كتوقيع حضور
الرياحين والماء المدلوق على القبر ليس كلّ ما أحتاجه،
إلى الآن ما يزال قبري مجهولاً
الخطاط المستهتر لم يُكمل حفر اسمي على الشاهد،
لن يتبرّك بقبري أحد
سوى بعض المغفّلين الذين يعتقدون أنني شاعرٌ كبير.

لحيرة المستديرة

سبأ عباد

موتٌ من الصحو
صحوٌ من الموتِ
إغفاءة تقضم النومَ
ركعة في ظلامِ
الشرود.
سربٌ.. من الأمنيات البعيدةِ
مطرٌ .. من اللا زمانِ
وشمسٌ.. من الحيرةِ المستديرةْ.
وصوتٌ ملء أزمنة ينطُ
ينبغي أن نفتش عن سر هذا
الوجود ونسأل:
هل له يا ترى!! من حدود؟!
ينبغي.. أن تسابق أجسادنا
مهرة الريح..
نروي تفاصيلنا للأغاني
لنجني من الماء
حمّى الحقيقة.
لم يزلْ... في شرودٍ ويجهل
لم يزل.. يشعل النّاي زيتا..
في فتيل الأمنيات ثم يسأل:
أيّ بحر سوف ينهل؟!!
لم تزل .. كائنات الشوق تهمي
وتراوده .. كلّ صمت أنيقٍ:
لم نعد إخوةً!!
بعضُنا .. قدّ من بعضنا..
ويوسفٌ.. لم يعد أولَ الواصلين
إلى الحبّ! ولا أول الخارجينَ!
ويوسفُ.. أهدى إلى الذئب من دمعنا
..
قميصا من الليل يُغفي خطانا
ويشعل من طيننا برد هذي السنين.
لم تزل ..عاثرة.
رأسها.. في ارتحال مع الوقتِ
أقدامُها..
في وحول العشيرة.
وفي وجه صنعاء
طفلةٌ!!

تشبه الخط في الوهلة البكرِ.
تلهو..
تسفلت أشواقها مرتينِ..
وتنبشها مرتينِ!!
هكذا.. كل قلبٍ.
لم تزل تقضمُ الوقتَ!
لم تزل تلبس الوحيَ!
تملي على النجم
تاريخه في سطور الأميرةْ.
وكبسولة البدءِ!!
قيدَ الوصولِ.
تجاهد في الشارع المستطيلِ
على متن صبح ظهيرة أفكارنا
إذ لا مفر من الكرّ والفرّ
والقفز فوق الزمانِ
وفوق المكانِ.....
أو....
.....
.....
فليطل شارع الانتظار
لن يموت
الجنين.

إصدارات ثقافية

صدور الأعمال الشعرية الكاملة لعلوي الهاشمي

● صدر للشاعر البحريني علوي الهاشمي حديثاً مجلد الأعمال الشعرية الكاملة، ويأتي ذلك في إطار التعاون في مجال النشر المشترك والتوزيع بين المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان ووزارة الثقافة في مملكة البحرين، ويقع المجلد في 496 صفحة من القطع المتوسط. يضم المجلد أعماله الشعرية التي كتبها في مراحل متعددة من تجربته الشعرية ومن هذه الأعمال: ديوان "من أين يجيء الحزن"، وديوان "العصافير وظل الشجرة"، وديوان "محطات للتعب"، وديوان "في الغربة"، وقصائد "من وحي النكسة".

ويقول الباحث الدكتور عبد الكريم حسن عن هذه الأعمال "دلمون.. السماء قريبة من أرضها ذاكرة الماء.. وفي مائها ملتقى الماءين.

دلمون.. ولا يخطئها جلجامش.. زهرة تغوي وتغور.. تعويذة يلوذ بها الشاعر القتيل ومن دمه تتخضب قامة الشعر.

وهو ذا الفتى الدلموني ينهض مرة أخرى.. النخلة ذاكرته، والبحر قيثارته، وجناحاه امتحان للفضاء.

مبدعون عرب في «الكتابة والمنفى»

"الكتابة والمنفى"

● يضم الكتاب الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، شهادات لعدد من الكتاب والمثقفين العرب عن موضوع المنفى، فهو يضم مقالات لكل من: أدونيس وواسيني الأعرج وإبراهيم الكوني وسيف الرحبي وكمال أبو ديب وفريال غزول وفيصل دراج واحمد يوسف ونبيل سليمان وفخري صالح ومحمد لطفي اليوسفي وعبدالله إبراهيم الذي قام بدوره بعملية تحرير الكتاب.

ويقول محرر الكتاب الدكتور عبد الله ابرهيم "تقوم كتابة المنفى على فرضية تفكيك الهوية الواحدة، وتقترح هوية رمادية مركبة من عناصر كثيرة، وبهذه الصفة تعد كتابة المنفى عابرة للحدود الثقافية والجغرافية والتاريخية والدينية، وهي تخفي في طياتها إشكالية خلافية كونها تشكل عبر رؤية نافذة ومنظور حاد لا يعرف التواطؤ، فتتعالى على التسطيح وتتضمن قسوة صريحة من التشريح المباشر لأوضاع المنفي، وعلى حد سواء، لكل من الجماعة التي اقتلع منها والجماعة الحاضنة له.

لكنها كتابة تنأى بنفسها عن الكراهية والتعصب والغلو وتتخطى الموضوعات الجاهزة والأفكار النمطية وتعرض شخصيات منهمكة في قطيعة مع الجماعة التقليدية، وتنبض برؤية ترتد صوب مناطق مجهولة له داخل النفس الإنسانية".

ويضيف "تتسم كتابة المنفى فضلاً عن كل ذلك بالقلق الوجودي ويسكنها الحراك والانشقاقية والسخط، وفيها تعوم الأسئلة الكبرى وهي مدونة كاشفة لمصائر البشر حينما تدفعهم نوازع العنف الأعمى إلى تمزيق شملهم فيلوذون بأماكن بديلة بحثاً، عن أمان خادع وقد آن الأوان لتنشيط جدل ثقافي ينتهي بإحلال عبارة "كتابة المهجر" لأن الثانية تخلو من المحمول الذي جرى وصفه فيما الأولى مشبعة به، فهو يترشح منها حيثما درست مستوياته الدلالية وقع تأويله واستنطاقه وعلى هذا فإن "أدب المنفى" يختلف عن "أدب المهجر"، كون الأخير حبس نفسه في الدلالة الجغرافية، فيما انفتح الأول على سائر القضايا المتصلة بموقع المنفى في العالم الذي أصبح فيه دون أن تغيب عنه قضايا العالم الذي غادره".

«زاد الرفاق»

● صدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي، كتاب جديد بعنوان "زاد الرفاق"، من تأليف أبي المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق الأبِيْوَردي، المتوفى سنة 507هـ، حققه الدكتور الأكاديميَ الأردني عمر الأسعد في طبعته الأولى تحقيقا علميا. يقع الكتاب في جزأين، وينسب مؤلفه إلى بلدة في خراسان تُسمى أَبِيْوَرد، وهو لُغوي عالي الطبقة، وصفه ياقوت بأنه كان إمَاماً في كل فن من العلوم، عارفا باللغة والنحو والنسب والأخبار، ويده باسطة في البلاغة والإنشاء، وله تصانيف في جميع ذلك، وشعره سائر مشهور.

وأما كتابه "زاد الرفاق" فقد ألّفه ردًا على صديق له سأله أسئلة مختلفة الموضوعات، فأملى إجاباته عن تلك الأسئلة بأوراق وسمها بزاد الرفاق. وأما موضوعاته فقد قال عنها محقق الكتاب الدكتور عمر الأسعد "وقد أدار المصنف كتابه حول موسوعات ثلاث بدت متماثلة، ولكنها متداخلة مختلطة أشد التداخل والاختلاط".

الموسوعات هي: "الموسوعة الشعرية" وضمّت أشعاراً من عصور مختلفة لشعراء معروفين وشعراء غير معروفين، وشعراء مقلّين ومكثرين، وأبياتاً مفرداتٍ وغير مفردات، وقد غدا "زاد الرَفاق" بهذه الصفة مستودعاً لأشعار العرب في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي.

"الموسوعة اللغوية" وتمثلت الموسوعة اللغوية في جمهرة من التراكيب اللغوية والأقوال العربية والأمثال السائرة، جليلة المعاني، جزلة التراكيب، شغلت من الكتاب حيزاً كبيراً ومواضع متفرقة.

"موسوعة المعارف العامة" ويقول الأبيوردي: "فعندي مسائل أنت بمطاويها خبير، وبإيضاح ما استبهم من عويصها جدير. وها أنا أذكرها مستفيداً.

وهكذا أخذت هذه الموسوعة من كل علم بطرف، فاحتوت مجموعة من المعارف العامة الأدبية والتاريخية والفلسفية والطبية والفلكية، وكثيرا من أيام العرب وأنسابهم وعاداتهم وحيواتهم ومستلزماتها وما يتصل بها، وعكست اهتمام المؤلف بالطب وأهله وأقوالهم وأخبارهم، وبالفلك وأصحابه والأنواء والأبراج والكواكب، والأشعار التي قيلت فيها، وبالعفاريت والجن وصلاتهم بالإنس وعلاقاتهم بهم".